□ بقلم: جابر جابر

الحلقة الأولى

نظرة أولية
في تطور الحركة الطلابية الفلسطينية الأردنية وواقعها الراهن

ان النضال الديمقراطي الطلابي لا يمكن عزله عن تاريخ الشعب الذي ينتمي اليه الطلبةوتطور هذا التاريخ اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، لان حركة الطلبة لا يمكن استبعادها عن مجمل حياة الشعب الذي تنتمي اليه وخاصة حركته الوطنية، اذ ان العلاقة الجدلية واضحة بين هاتين المؤسستين ، بل ان الحركة الديمقراطية في البلدان المتخلفة تخلق وتوجد من قبل الحركات الوطنية وبالتالي فانها تأتي تعبيرا ديمقراطيا لتلك الحركات السياسية المؤسسة للعمل النقابي، لهذا فان الكلام عن الحركة الطلابية الاردنية ـ الفلسطينية لا بد وان يكون مواكبا للتطورات الاقتصادية والسياسية التي ألمت في تاريخ هذين الشعبين ، سواء بالنسبة للسكان المقيمين في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ أو الضفة الغربية والشرقية او الذين يعيشون في الاقطار العربية والمهاجر ، فان حياة وطبيعة كل جزء من ابناء هذا الشعب قد انطبعت بالطابع السياسي للمنطقة الجغرافية التي استقر فيها ..

فاية نظرة لواقع الحركة الطلابية لا بد وان يشتمل على دراسة لجذور النضال الطلابي الاردني الفلسطيني ، وافاق تطور هذا النضال، مع محاولة اعطاء صورة موجزة عن الطلبة في المهجر .

فالقسم الاول تراوحت حياتهم النضالية بين النضال الوطني العنيف والنضال الديمقراطي، وامتزجت المأساتين ، الوطنية والديمقراطية في مناخ مناضلي الحركة الطلابية . من هنا فان دراستها التاريخية تعطينا الكثير من الادلة التي تؤكد ارتباط العمل الديمقراطي بالقضية الوطنية .

وقبل ان نتحدث عن المؤسسات النقابية للحركة الطلابية الاردنية ـ الفلسطينية لا بد من المرور سريعا على مواقف النضال الطلابي من المسالة الوطنية ، واذا كان صحيحا ان الحركة الوطنية يقاس نضجها وتطورها بمدى ما تفرزه من تعبيرات ديمقراطية ، فان الحركة الوطنية الفلسطينية قد ولدت مبكرا نتيجة الصراع القومي الطبقي مع الصهيونية والانتداب البريطاني ، الا انها لم تتمكن من ايجاد تعبيرات ديمقراطية طلابية بالرغم من ان حركة الطبقة العاملة كانت متقدمة نقابيا وسياسيا فقد انشات حزبها السياسي عام ١٩٢٠ ، وعلى مستوى النضال النقابي والطبقي تبلورت لها مؤسسات لعبت دورا اساسيا في التعبئة الوطنية وابرز ادوارها الاضراب العام عام ١٩٣٦ .

الا ان الحركة الطلابية ، نتيجة لعدم وجود الجامعات وقلة المدارس، تأخر نموها الديمقراطي، ومع ذلك فقد ساهمت في النضال الوطني من خلال تشكيلات الفتوة والكشافة التي وجهت نضالات الطلبة واضراباتهم وتظاهراتهم مع بقية فئات الشعب ضد الانتداب البريطاني والصراع مع المؤسسات الصهيونية شبه العسكرية ، فمن هذه الحالة النضالية ، نشأ النضال الطلابي واخذ يتبلور شيئا فشيئا مترابطا بالحركة الوطنية حتى بلغ مستوى معينا من التطور نتيجة لانتشار المدارس الثانوية وازدياد الوعي الثقافي كما كان لاشتداد الصراع مع المؤسسات الصهيونية دورا في تعبئة الشباب، وفي مقدمتهم الطلبة ، في مؤسسات ضمت مجاميع كبيرة منهم مثلت هذه المبادرات الجنينية مقدمة التفكير النقابي للطلبة في فلسطين .

وبعد عام ١٩٤٨ ، وقيام اسرائيل اصبح نضال الطلبة في الاراضي المحتلة ذو صبغة ديمقراطية اكثر ، تحالف في بعض المراحل مع اليساريين اليهود ، وكانت قيادة هذا النضال في يد الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، اما النضال في قطاع غزة والضفة الغربية فهو يختلفان الاوضاع في كل منهما تختلف عن اوضاع المناطق المحتلة. ولهذا فان نضال الطلبة في الضفة الغربية قد تعرض للاضطهاد والمضايقة والاعتقال، وليمصدر اي قانون يسمح للطلبة بانشاء المؤسسات الديمقراطية لهم ، ولهذا ظل النضال الطلابي فيها جزءا من النضال الوطني ، وامتزج نضال الطلبة في الضفة الغربية مع نضال الطلبة في الضفة الشرقية ، الا ان الملاحظ ان حركة الطلبة في الضفة الغربية كانت متقدمة عنه في الشرقية وذلك بحكم انتشار الوعي الثقافي والتطور الحضاري في الضفة الغربية اكثر منه في الضفة الشرقية .

ونتيجة لمزج نضال طلبة الضفتين اتسع النضال الطلابي ضد الحكم الرجعي في الاردن من اجل اطلاق الحريات الديمقراطية ، وقد بلغ اوجه في التحركات الطلابية العنيفة التي اجتاحت الضفتين في عام ١٩٦٣ ، وقد سقط فيها عددا من الشهداء . وهكذا استمر نضال الطلبة بهذا الاتجاه الوطني بالرغم من انهم كانوا يطرحون بين فترة واخرى عددا من المطالب التربوية والديمقراطية وكانت تجابه بالتنكيل والاضطهاد من قبل السلطة العميلة في الاردن وكان لهذا التنكيل دور ايجابي في دفع الحركة الطلابية الى ايجاد تنظيمات ديمقراطية سرية ترتبط بشكل او باخر بالمؤسسات والحركات الوطنية السرية ، ولهذا كان نموها واتساعها يصعد ويهبط تبعا لاشتداد الصراع ضد السلطة الرجعية، وكانت اكثر ادوارها النضالية مرتبطة بالنضال الوطني.

ومن هنا لا يمكننا اعتبار هذه المؤسسات مؤسسات نقابية ، لانها كانت عبارة عن تعبيرات سياسية اكثر منها نقابية تجمع بين صفوفها الطلبة الملتزمين مع الحركة الوطنية ، ولم تطرح برامج تستقطب من خلاله الطلبة غير الملتزمين . ولكن يجب ان لا ننسى ان هذه المؤسسات كانت اساس النضال الطلابي النقابي الذي تبلور ونضج بعد هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ .

ولقد اشتملت هذه المقدمة على عرض سريع للتطور المرتبط بالحركة الوطنية الفلسطينية وما افرزه هذا الارتباط على النضال الطلابي الديمقراطي النقابي ولكن هذا لا يكفي بل لا بد من دراسة للحركة الطلابية ، ودور الواقع المادي والسياسي في التأثير عليها ، وهذا يقتضي بالضرورة تجزئة الموضوع الى عدة مراحل تاريخية ومواقع جغرافية نشأ وترعرع فيها العمل الطلابي ، وانعكاس الواقع المادي والسياسي عليه .

■ اولا : الحركة الطلابية في المناطق التي احتلت عام ١٩٤٨

علينا ان لا ننكر مسالة اساسية لعبت دورا مهما في التأثير النفسي على مجمل اوضاع الحركة الوطنية والديمقراطية للشعب الذي يقبع تحت الاحتلال الاسرائيلي واثر الهزيمة في انخفاض مستوى التعبئة الوطنية والديمقراطية لعدة سنوات ، وبالتأكيد ان لهذه الحالة انعكاس مباشر على الحركة الطلابية ، ولكن لم يستمر هذا الجمود ، بل نشط الطلبة العرب في هذه المناطق في النضال الديمقراطي في مؤسسات خاصة بهم متأثرة بالحركة الطلابية المرتبطة بالحركة الصهيونية والتي كانت تمارس حربا عنصرية ضدهم بالاضافة لتمهم من العلم فنشطوا في مجال النضال الطلابي المطلبي ، وكان في الطليعة الاحيان ذا طابع وطني الا ان العامل الاساسي الذي حرك نضالهم جاء من خلال الارتباط بالحركة الشيوعية العاملة في هذه المنطقة من فلسطين ، وبالرغم من ان واجهة شعارات هذه المنظمات الطلابية كانت نضالا ديمقراطية الا انها عبرت بشكل او باخر عن ايمان بالمسالة الوطنية ، وبدأ يتبلور اكثر فاكثر عندما انقسم الحزب الشيوعي الاسرائيلي الى قسمين احدهما موال للحركة الصهيونية والاخر إقرب ما يمكن الى الخطوط الحقيقية للمبادئ الماركسية اللينينية، هذا الانقسام اظهر الشاعر الوطنية بشكل كبير في صفوف المؤسسات الطلابية ، القائمة بالاضافة الى التزامها الديمقراطي . واستمر الشعور الوطني يتاجج في صفوف الحركة الطلابية متأثرا بعاملين :

□ اولاهما :
اضطهاد الحركة الطلابية الصهيونية لتنظيمات الطلبة العرب .

□ وثانيهما :
اشتداد حدة الصراع بين العرب واسرائيل نتيجة التطورات السياسية والاجتماعية ، التي حصلت في الانظمة العربية المحيطة باسرائيل ، وكان لهذا التطور دور مهم في تطور الحركة الطلابية ، وكذلك التطورات السياسية التي حصلت في الساحة العربية وفلسطين بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وما مثلته هذه التطورات من هزيمة للانظمة العربية نتج عنها احتلال اراض عربية جديدة ، وسعت الرقعة الجغرافية للاحتلال الاسرائيلي . وكذلك زادت نسبة الطلبة العرب الذين يرزحون تحت الاحتلال الاسرائيلي مما ادى الى اعادة اتصال عرب الارض المحتلة عام ١٩٤٨ باشقائهم في الضفة الغربية وقطاع غزة فايقظت هذه العوامل الشعور الوطني في نفوس الطلبة في منطقة ١٩٤٨ مما جعل سمة نضالهم اكثر ارتباطا بالنضال الوطني ضد الاحتلال الاسرائيلي بالرغم من خضوع منظماتهم لاحتاد طلبة اسرائيل.

تطور الحركة الطلابية الفلسطينية

ان الخارطة التي نشأت عليها الحركة الطلابية الفلسطينية شملت قطاع غزة ومصر وسوريا ولبنان، لهذه الخارطة طبيعة سياسية والتصادية واجتماعية اثرت في الحركة الطلابية الفلسطينية، حيث تميز الوضع السياسي والطبقي بوجود حكومات برجوازية صغيرة معادية للامبريالية واسرائيل باستثناء لبنان حيث يتواجد على ارضها حكم رجعي ذو طابع ديمقراطي ليبرالي مرتبط بالامبريالية .

هذه الاوضاع السياسية العربية اثرت كما قلنا في الحركة الطلابية الفلسطينية حيث استفادت من هذه الاوضاع المؤيدة للقضية الفلسطينية فلعبت دورا وطنيا وديمقراطيا ضد الاحتلال والدعاية الصهيونية ، وقد ارتبطت بالحركة السياسية الفلسطينية المتواجدة بين صفوف الفلسطينيين في هذه المناطق وبحكم التوافق في التعبير الطبقي بين الحركة السياسية الفلسطينية والحكومات البرجوازية الصغيرة ، وحتى الاراء السياسية مع قسم منها ، هذه الظروف اتاحت المجال للحركة السياسية الفلسطينية لان تفرز تعبيرات نقابية لها ، وكان منها بالاضافة الى التنظيم العمالي ، التنظيم الطلابي الديمقراطي الذي بدأ ينشيء الروابط في الاقاليم العربية كانت اولاها رابطة القاهرة وتبعها رابطة دمشق وبيروت والاسكندرية فاستطلت هذه الروابط الطلابية ، بل ان هذه الفترة قد سبقت الاتحاد العالمي والحركة الطلابية الفلسطينية اكثر من التي سبقتها بالرغم من احتواء قيادة الاتحاد على عناصر مستقلة اكثر من المرحلة السابقة كما تميزت هذه الفترة بعلاقات وطيدة مع الحركة الطلابية العربية ونشاط ديمقراطي طلابي عربي ، الا انها كانت خاضعة لسياسة القاهرة وتاثيراتها، وعالميا لعبت دورا جيدا في المؤتمرات الدولية التي اشترك فيها طلبة فلسطين ، ومن ابرز النشاطات الوطنية التي قامت بها قيادة الاتحاد هذه الفترة هي اقامة ندوة فلسطين العالمية التي عقدت بالقاهرة عام ١٩٦٥ حيث حضرها اكثر من خمسة فلاسفة من بينهم برتراند رسل وجان بول سارتر ، ومكسيم رودنسون ، وعدد من وزراء الدول الصديقة للعرب وساهم فيها كذلك عشرات الاتحادات الطلابية العربية والعالمية وفي مقدمتها اتحاد الطلبة العالمي . كما حضره عدد من الكتاب والصحفيين التقدميين العرب والاجانب.

وتعتبر هذه الندوة الاولى من نوعها ، فقد مثلت اكبر تظاهرة عالمية الى جانب القضية الفلسطينية وضد الحركة الصهيونية قادها ونظمها واشرف عليها الاتحاد العام لطلبة فلسطين بالرغم من ان طرح المسالة الفلسطينية انذاك لم يكن يختلف كثيرا عن طرح حكومات البرجوازية الصغيرة ، ويميل الكثيرون الى الاعتقاد بان التأييد الذي حصلوا عليه لم يكن نتيجة طرح سياسي سليم وانما نتيجة عطف انساني كسبوه من خلال عرض القضية وربطها بمسالة اللاجئين بالدرجة الاولى .

وبعد هذا العمل الكبير الذي حققه الاتحاد للمسالة الوطنية تعزز نفوذه في صفوف الحركة الطلابية الفلسطينية ، واستمرت حركة القوميين العرب في قيادة الاتحاد حتى اواخر عام ١٩٦٧ حيث بدات فتح تسيطر على فروع الاتحاد ومن ثم استلمت معظمه مما جعلها القوة الاساسية القادرة على قيادة الاتحاد وهذا راجع للاسباب الاتية :

■ ١ ـ ارتفاع مستوى العمل الوطني الى ظاهرة الكفاح المسلح الذي كانت في مقدمة من بداه فحازت على تاييد جماهيري واسع .

٢ ـ دعم انظمة البرجوازية الصغيرة لفتح اعلاميا وسياسيا .

٣ ـ التفكك التنظيمي لحركة القوميين العرب نتيجة سقوط فكرها السياسي مع سقوط افكار انظمة البرجوازية الصغيرة مما اضعف وجودها داخل الحركة الوطنية الفلسطينية .

٤ ـ التطور الايديولوجي التي طرا على مفاهيم حركة القوميين العرب ابعدها شيئا فشيئا عن الطلاب الذين هم في تكوينهم الطبقي برجوازيين صغار .

٥ ـ انقسام حركة القوميين العرب اضعف وجودها في الحركة الطلابية الفلسطينية .

هذه مجمل الاسباب التي ساعدت فتح على استلام اللجنة التنفيذية للاتحاد العام لطلبة فلسطين .

ولاجل الوقوف امام هذه المرحلة الثالثة من النضال الطلابي الفلسطيني لا بد من محاكمة سيرها فلسطينيا وعربيا وعالميا حتى نتمكن من تسجيل تقييم علمي لهذه المرحلة التي لا تزال فتح تقودها .

في المجال الفلسطيني جادت لتحتل حالة الحركة الطلابية الفلسطينية اكثر من التي سبقتها بالرغم من احتواء قيادة الاتحاد على عناصر مستقلة اكثر من المرحلة السابقة كما تميزت هذه الفترة بعلاقات وطيدة مع الحركة الطلابية العربية ونشاط ديمقراطي طلابي عربي ، الا انها كانت خاضعة لسياسة القاهرة وتاثيراتها، وعالميا لعبت دورا جيدا في المؤتمرات الدولية التي اشترك فيها طلبة فلسطين ، ومن ابرز النشاطات الوطنية التي قامت بها قيادة الاتحاد هذه الفترة هي اقامة ندوة فلسطين العالمية التي عقدت بالقاهرة عام ١٩٦٥ حيث حضرها اكثر من خمسة فلاسفة من بينهم برتراند رسل وجان بول سارتر ، ومكسيم رودنسون ، وعدد من وزراء الدول الصديقة للعرب وساهم فيها كذلك عشرات الاتحادات الطلابية العربية والعالمية وفي مقدمتها اتحاد الطلبة العالمي . كما حضره عدد من الكتاب والصحفيين التقدميين العرب والاجانب.

وتعتبر هذه الندوة الاولى من نوعها ، فقد مثلت اكبر تظاهرة عالمية الى جانب القضية الفلسطينية وضد الحركة الصهيونية قادها ونظمها واشرف عليها الاتحاد العام لطلبة فلسطين بالرغم من ان طرح المسالة الفلسطينية انذاك لم يكن يختلف كثيرا عن طرح حكومات البرجوازية الصغيرة ، ويميل الكثيرون الى الاعتقاد بان التأييد الذي حصلوا عليه لم يكن نتيجة طرح سياسي سليم وانما نتيجة عطف انساني كسبوه من خلال عرض القضية وربطها بمسالة اللاجئين بالدرجة الاولى .

وبعد هذا العمل الكبير الذي حققه الاتحاد للمسالة الوطنية تعزز نفوذه في صفوف الحركة الطلابية الفلسطينية ، واستمرت حركة القوميين العرب في قيادة الاتحاد حتى اواخر عام ١٩٦٧ حيث بدات فتح تسيطر على فروع الاتحاد ومن ثم استلمت معظمه مما جعلها القوة الاساسية القادرة على قيادة الاتحاد وهذا راجع للاسباب الاتية :

■ ١ ـ ارتفاع مستوى العمل الوطني الى ظاهرة الكفاح المسلح الذي كانت في مقدمة من بداه فحازت على تاييد جماهيري واسع .

٢ ـ دعم انظمة البرجوازية الصغيرة لفتح اعلاميا وسياسيا .

٣ ـ التفكك التنظيمي لحركة القوميين العرب نتيجة سقوط فكرها السياسي مع سقوط افكار انظمة البرجوازية الصغيرة مما اضعف وجودها داخل الحركة الوطنية الفلسطينية .

٤ ـ التطور الايديولوجي التي طرا على مفاهيم حركة القوميين العرب ابعدها شيئا فشيئا عن الطلاب الذين هم في تكوينهم الطبقي برجوازيين صغار .

٥ ـ انقسام حركة القوميين العرب اضعف وجودها في الحركة الطلابية الفلسطينية .

هذه مجمل الاسباب التي ساعدت فتح على استلام اللجنة التنفيذية للاتحاد العام لطلبة فلسطين .

ولاجل الوقوف امام هذه المرحلة الثالثة من النضال الطلابي الفلسطيني لا بد من محاكمة سيرها فلسطينيا وعربيا وعالميا حتى نتمكن من تسجيل تقييم علمي لهذه المرحلة التي لا تزال فتح تقودها .

تتلخص ايجابيات الاتحاد في النقاط الاتية :

١ ـ كان الاتحاد المؤسسة الاولى فلسطينيا التي اطلت على العالم .

٢ ـ لعب دورا مهما في خدمة المسالة الوطنية الفلسطينية .

٣ ـ كما اسهم في تاطير نضالات الطلبة الفلسطينيين .

٤ ـ قدم للطلبة الفلسطينيين عددا لا باس به من الخدمات التربوية والاجتماعية

٥ ـ لعب دورا مهما في احياء الشعور الوطني .

طلبة المهجر

ان نشاط طلبة المهجر جزء من النشاط السياسي لشعب فلسطين في المهجر الذي لم يسمع لهم صوت منذ امد بعيد لاسباب منها ان معظم المهاجرين قد تركوا الوطن وهاجروا بحكم فقدان الامل لديهم لاسباب نفسية اثرت عليهم نتيجة الهزائم التي تعرضت لها الامة العربية في النصف الاول من القرن العشرين.

وكذلك بعدهم عن الوطن وعيشهم في مناطق تسود فيها الثقافة الامبريالية الموازرة لاسرائيل.

هذه العوامل اثرت في النشاط السياسي لشعب فلسطين في المهجر وبالتالي على اي نشاط طلابي ، ولكن هذه الحالة لم تكن سوداء الى الحد الذي لم يتواجد فيه اي نشاط لهم فقد اسهموا في الاحزاب اليسارية للبلدان التي استقروا فيها ، وكثيرا ما نشروا وجهة النظر العربية في القضية الفلسطينية وكذلك فقد عبروا عن مشاعرهم الوطنية بانشاء النوادي الاجتماعية والجمعيات .

اما المرحلة الثانية والتي تلت الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، فقد كانت مرحلة مهمة : صحيح ان الاشهر الاولى التي تلت الهزيمة اجهضت العديد من المبادرات الوطنية الا انها كانت البداية لتطور جديد تأثر بارتفاع المسالة الوطنية الفلسطينية الى مستوى الكفاح الشعبي المسلح حيث بدأوا بتاسيس الاتحادات والجمعيات ومنها الطلابية .

في العدد القادم
الحركة الطلابية الاردنية
ومستقبل نضالها